مجلة رفوف–مخبر المخطوطات – جامعة أدرار– الجزائر المجلد: 10/ العـدد: 01 (جانفي 2022) ص 217– 241
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

الصوت والصرف عند الشيخ عبد الحميد بن باديس من خلال تفسيره لسورة الفرقان

The Phoneme and Morphology of Sheikh Abdul Hamid bin Badis through his Interpretation of Surat Al-Furqan

صالح طمبو، الأستاذ الدكتور: إدريس بن خويا
Saleh TAMBOU, idriss BENKHOIA
[1] جامعة أدرار (الجزائر)، saleh.tambou@univ-adrar.com
[2] مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا (الجزائر)، benkhoia.idriss@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/23	تاريخ القبول: 2021/08/16	تاريخ النشر: 2022/01/25

الملخص:

أعالج في هذه الورقة البحثية مستويين من أهم مستويات الدرس اللغوي وهما الصوت والصرف؛ لما لهما من عظيم الأثر في المعنى من خلال مدوّنة من أهم المدوّنات الجزائرية والإسلامية وهي تفسير "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" للشيخ عبد الحميد بن باديس، فألقي الضوء على معاني الآيات التي توصل لها ابن باديس من خلال بعض الظواهر الصوتية، ومن خلال الصيغ والبنى الصرفية.

ووقع اختياري على تفسير ابن باديس لأنه –على صغر حجمه– غني بالمادة اللغوية على جميع مستوياتها صوت، صرف، نحو، ومعجم، ومن بين تفسير ابن باديس اخترت سورة الفرقان؛ إذ احتلت مساحة واسعة من تفسير ابن باديس المدوّن، ومن خلالها يمكن الوقوف على أغلب المباحث الصوتية والصرفية التي تناولها ابن باديس في تفسيره، فكانت صورة مصغّرة عن هذا التفسير.

الكلمات المفتاحية: ابن باديس، الصوت، الصرف، تفسير ابن باديس، سورة الفرقان.

Abstract:

In this study, I treat two of the most important levels of the linguistic lesson, which are phoneme and morphology, because they have a role in showing the meaning and significance through the interpretation of the "majalis atadhkir" of Sheikh Ibn Badis. I refer to the meanings of the verses that Ibn Badis reached through some phonemic phenomena and morphological formulas.

I chose the interpretation of Ibn Badis because it is rich in linguistic material; phoneme, morphology, grammar, and lexicon. I chose the interpretation of Surat Al-Furqan, because it took a wide area of it, through which it is possible to find most of the phonological and morphological investigations that Ibn Badis dealt with in his interpretation, so it was a miniature image of this interpretation.

Keywords: Ibn Badis, Phoneme, Morphology, Interpretation of Ibn Badis, Surat Al-Furqan.

المؤلف المرسل: صالح طمبو، **الإيميل**: saleh.tambou@yahoo.com

1. مقدمة:

اعتنى العلماء قديما وحديثا بالدراسة الصوتية، وقالوا بوثيق الصّلة بين الصوت والمعنى، إذ أن للصوت أثرا كبيرا في تحديد الدلالة، واختلاف الأصوات يؤدي إلى اختلاف دلالات المفردات، كما اعتنوا بمباحث علم الصرف واهتدوا إلى دور صيغه في تحديد المعنى والدلالة، ومنهم الخليل وسيبويه وخاصة ابن جني.

إنّ الصّلة وثيقة بين الصوت والصيغ الصرفية، فمتى ما تغيّر الصوت سواء كان صائتا أو صامتا أدّى ذلك إلى تغيّر معنى الصيغة الصرفية، فعلى سبيل المثال كَتَب تختلف دلالتها عن كُتِب، يقول عبد الصبور شاهين: "فليس من الممكن دراسة بنية الكلمة، دون دراسة أصواتها ومقاطعها وعلاقة الصوامت (السواكن) بالحركات؛ لأن كل تغيير تتعرض له هذه البنية ينشأ عن تفاعل عناصرها الصوتية في الممارسة الكلامية" (شاهين، 1980، صفحة 25).

وقد سعى ابن باديس إلى كشف الدلالات من خلال الصوت والصرف في تفسيره لسورة الفرقان. فما هي أهم المباحث الصوتية والصرفية في تفسير ابن باديس لسورة الفرقان؟ وكيف نفذ إلى المعنى من خلال الصوت؟ وما هي أهمّ الظواهر الصوتية في تفسير هذه السورة؟ وما هي أهم الحُمُولات الدلالية للصيغ الصرفية الموجودة في تفسيرها؟ وهل ركّز ابن باديس على صيغ بعينها دون أخرى؟

2.التعريف بصاحب التفسير:

1.2.النسب والمولد:

هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن الشيخ المكّي بن باديس الصنهاجي، ووالدته هي السيدة زهيرة بنت علي الأكحل بن جلول، وُلد بمدينة قسنطينة يوم الأربعاء 11 ربيع الثاني 1307هـ، الموافق 4 ديسمبر 1889م. ينحدر من أسرة معروفة بالعلم والجاه والثراء، تبوّأ والده مناصب عديدة منها: عضو المجلس الجزائري الأعلى وباش آغا شرفيا ومستشارا بلديا، ووُشّح بوسام الاحترام من قِبَل الإدارة الفرنسية. (فيلالي، الصفحات 39–40).

2.2.النشأة والتكوين العلمي:

حفظ عبد الحميد القرآن الكريم وأتقنه على يد الشيخ محمد المداسي أشهر المقرئين في مدينة قسنطينة، أمّ المصلين في صلاة التراويح لمدّة ثلاث سنوات متتالية وعمره لا يزيد عن ثلاثة عشرة سنة بالجامع الكبير ببطحاء سيدي الشيخ (فيلالي، الصفحات 43–44)، ثم اختار طريق العِلم، فسلّمه والده سنة 1903م إلى العالِم الورِع التّقي حمدان الونيسي الذي ربّاه على العِلم والفضل والأدب فتلقّى عليه العلوم الإسلامية والأدب واللغة العربية ومكارم الأخلاق، فأثّر فيه الأستاذ تأثيرا كبيرا وطبعه بأحلى حُلّة علمية تربوية. سافر إلى جامع الزيتونة بتونس فتتلمذ على

خيرة علمائه وتخرّج منه بشهادة التطويع العالِمية عام 1911م، وفي عام 1912م عاد من تونس ليُلقي بعض الدروس في «الجامع الكبير» بقسنطينة من كتاب «الشفا» للقاضي عياض، لكنه سرعان ما مُنِع، وفي عام 1913م غادر قسنطينة متوجّها إلى الحِجاز لأداء فريضة الحج، وفي المدينة النبوية التقى بأستاذه حمدان الونيسي، كما تعرّف على الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. رجع ابن باديس إلى قسنطينة ليُباشر التعليم في الجامع الأخضر بسعي من والده لدى الحكومة، حيث ختم تفسير القرآن تدريسا في ربع قرن. (بن باديس، 2009، صفحة 39).

3.2.أساتذة وتلاميذ ابن باديس:

تتلمذ ابن باديس على يد ثلّة من المشايخ والأساتذة من لدن كان صغيرا، بداية من شيخيه محمد المداسي وحمدان الونيسي، مرورا بشيوخه في الزيتونة والذين وصلوا إلى نحو عشرين أستاذا (فيلالي، صفحة 82)، ينتمون إلى هيئة التدريس بالجامع الكبير بالزيتونة نذكر منهم: الشيخ صالح الحلقي وابن الطيب بوشناق ومحمد الخوجة ومحمد الطاهر بن عاشور وغيرهم، وصولا إلى المشايخ الذين تلقّى عليهم في حلقات ومحاضرات وندوات فكرية أخرى في أماكن أخرى، أو الذين أجازوه في مختلف العلوم ومنهم: البشير صفر، والشيخ حسين أحمد أبادي الهندي، وغيرهم.

خلّف ابن باديس تلاميذ ساروا على دربه وأبقوا الراية الباديسية عالية خفّاقة ومنهم: المبارك الميلي والشيخ الفضيل الورثلاني وموسى الأحمدي والهادي السنوسي ومحمد الصالح بن عتيق وسعيد البياني وباعزيز بن عمر وعبد اللطيف سلطاني ومحمد الصالح رمضان وأحمد حماني وغيرهم كثير. (عويمر، 2012، صفحة 17).

4.2.وفاته:

أُصيب ابن باديس بمرض خطير نتج عنه ضعف في الكِلى وانعدام تجمّع البول، وهذا المرض أعيا الأطباء وألزمه الفراش ثلاثة أيام، ثم فاضت روحه الطيبة بعيد زوال يوم الثلاثاء الثامن من ربيع الأول سنة 1359م (08 ربيع الأول 1359هـ)، الموافق للسادس عشر من أفريل سنة 1940م (16 أفريل 1940م) بقسنطينة. (الحسني، 2005، صفحة 161).

3.التعريف بتفسير ابن باديس:

أدرك ابن باديس أهمية القرآن الكريم في نهضة وإصلاح الأمة الجزائرية، فاشتغل بعد عودته من الحجاز بتفسير كتاب الله، وقد سلك في تفسيره سبيلين واتبع طريقتين: الأولى تدريسية شفهية والثانية تدوينية مكتوبة.

التفسير الشفهي: هو الذي كان يلقيه ابن باديس على رواد مسجد الأخضرية بقسنطينة "درسا تسمعه الجماهير، فتتعجّل من الاهتداء به ما يتعجّله المريض المنهك من الدواء، وما يتعجّله المسافر العجلان من الزاد" (بن باديس،

2009، صفحة 12)، وهذا من سنة 1913م إلى غاية سنة 1938م، أي نحو خمس وعشرين سنة، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي: "بارك الله في عمر الأستاذ فأتمّ تفسير كتاب الله ببيانه المشرق في خمس وعشرين سنة... وعرفت الأمّة الجزائرية قيمة ما أتمّ الله على يد الأستاذ فاحتفلت بهذا الختم كأعظم ما تحتفل أمّة ناهضة بأثر ناجح من آثار جهودها". (الإبراهيمي، 1997، صفحة 327). يتحدث أحد تلامذة ابن باديس عن دروس التفسير فيقول: "هو درس عام، يحضره إلى جانب الطلبة جمهور كبير، ويقع يوميا بعد صلاة العشاء في الجامع الأخضر، ما عدا يوم العطلة الأسبوعية، تدوم حصّة الدرس ساعة واحدة في الغالب، أو تقلّ عنها تارة... ولم يكن يُتاح الدوام على حضور هذا الدرس القيّم إلّا للقلة" (مرحوم، 1975، الصفحات 96–97). ومع هذا فقد كان الناس يتسابقون لحضور هذا الدرس، الذي أصبحت له سمعة كبيرة في داخل قسنطينة وخارجها؛ لأنه درس جامع يجد فيه المستمعون كل ما يشغلهم من أمور دينهم ودنياهم، من قضايا الماضي والحاضر والمستقبل.

وأما عن أسلوب الشيخ وطريقته في درس التفسير، فقد كان يستهله بما كان يستهل به النبي صلى الله عليه وسلم خطبه (أما بعد فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم...) ثم يأخذ في تلاوة الآيات التي يريد تفسيرها من حفظه، وبعد ذلك يشرع في التفسير بلغة عربية فصيحة، وبأسلوب غاية في الوضوح، يركز فيه على استجلاء المقاصد والعِبر، وكثيرا ما يُنزل معاني الأي على ما تنطبق عليه من أحوال المجتمعات الإسلامية أو البشرية في العصر الراهن، ويُجري المقارنة الملائمة بين الماضي والحاضر (مرحوم، 1975، صفحة 97)، وكان يسود عادة أثناء الدرس جو من الهيبة والخشوع والوقار، إجلالا لكتاب الله عز وجل أولا، وتأثرا بما كان يبدو عليه الشيخ من سكينة ووقار ثانيا (مرحوم، 1975، صفحة 97).

وقد تحصّر الإبراهيمي على ضياع التفسير الشفهي، يقول في مقدمة تفسير المجالس: "لم يَكتب الأخ الصديق أماليه في التفسير، ولم يكتب تلامذته الكثيرون شيئا منها، وضاع على الأمّة كنز عِلمٍ لا يقوّم بمال، ولا يعوّض بحال... لكن الله تعالى أبى إلا أن يذيع فضله وعلمه فألهمه كتابة مجالس معدودة من تلك الدروس" (بن باديس، 2009، صفحة 13).

التفسير المدوّن: هو عبارة عن مقالات كانت تفتتح بها مجلة الشهاب تحت عنوان: مجالس التذكير (طالبي، 1997، صفحة 12)، زهاء عقد من الزمن من عدد كانون الثاني 1929م إلى عدد أيلول 1939م، كما أشار مالك بن نبي في مقدمة آثار بن باديس. (طالبي، 1997، صفحة 14).

بلغ عدد الآيات المفسّرة مئة وثمان آيات (108) من مجموع ستة آلاف ومائتين وستة وثلاثين آية (6236)، أي ما يعادل حوالي 2 %، وهي على قلّتها لُمع لامعة في التفسير يتمنى قارئها عند كل جملة منها لو أن الأستاذ أتمّ القرآن كلّه كتابة كما أتمّه درسا على تلك الطريقة وبذلك التحليل. (الإبراهيمي، 1997، صفحة 254).

تفسير ابن باديس المدوّن قد نجده في مجلّد واحد أو مجلّدين، ويحوي تفسير آيات من سور: المائدة، يوسف، النحل، الإسراء، مريم، طه، الأنبياء، الحج، المؤمنون، النور، الفرقان، النمل، الأحزاب، يس، الذاريات، والمعوذتين. إضافة إلى تفسير موضوعي عن العرب في القرآن.

4.تفسير سورة الفرقان:

سورة الفرقان سورة مكية، عدد آياتها سبعة وسبعون (77)، وترتيبها في المصحف الشريف خمسة وعشرون (25)، في الجزء التاسع عشر، نزلت بعد سورة يس (دروزة، 2000، صفحة 15)، بدأت بالثناء على الله قال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: 1]، والفرقان اسم من أسماء القرآن يقول ابن باديس: "وهو هنا اسم من أسماء هذا الكتاب الكريم" (بن باديس، 2009، صفحة 8).

فسّر ابن باديس أحد عشر(11) آية من هذه السورة هن الآيات: الأولى، الثانية، الرابعة، السادسة، العشرون، السابعة والعشرون، الرابعة والثلاثون، الواحدة والخمسون، الثانية والخمسون، الثانية والستّون، والسابعة والسبعون. من مجموع سبعة وسبعين (77) آية؛ أي حوالي 14.5%.

5.الصوت وأثره في الدلالة:

يعتبر الصوت اللغوي أو الفونيم أصغر وحدة لغوية غير دالة، فإذا ما قلنا مثلا: دَخَلَ سنلفيها تتكون من ستة فونيمات غير قابلة للتقسيم: د/ ـَ /خ/ ـَ /ل/ ـــَ، وأي تغيير في هذه الفونيمات تقديما أو تأخيرا، زيادة أو حذفا سيؤدي بالضرورة إلى تغيير في المعنى، وهو– أي الصوت اللغوي– اللّبنة الأساس في الدراسة الصوتية.

إنّ القول في مسألة علاقة الصوت بالمعنى مسألة قديمة وهي ليست بالجديدة أو المستحدثة في الدرس اللغوي العربي، فقد اهتم العلماء بها قديما منذ قرون خلت، ولعلّ الخليل بن أحمد الفراهيدي هو أوّل من أشار إلى هذه القضية، ثم أقرّها من بعده علماء كثيرون، أوّلهم تلميذة سيبويه، وصولا إلى أبي الفتح عثمان بن جني في كتابة الخصائص. (بوكرايدي، 2018، صفحة 38).

وإذا ما عدنا للمعاجم اللغوية سنجد أن الصوت لغة يقال: "صوت فلان (بفلان) تصويتا أي دعاه، وصات بصوت صوتا، فهو صائت بمعنى صائح ورجل صائت حسن الصوت شديده" (الفراهيدي، 2003، صفحة 146)، "والصوت: الجرس" (ابن منظور، 1992، صفحة 35)، ويقال صوت يصوت تصويتا فهو مصوت (ابن منظور، 1992، صفحة 57). من خلال هذه التعاريف نستنتج أن كل المعاني اللغوية للصوت ترجع للجرس والصياح والشدة والمناداة.

أمّا اصطلاحا فقد تعدّدت تعاريف الصوت، نكتفي بتعريف ابن جني يقول: "اعلم أن الصوت عَرَض يخرج مع النَّفَس مستطيلا متّصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمَّى المقطع أينما عَرَض له حرفًا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها". (بن جني، 1993، صفحة 6). لقد كشف لنا ابن جني في مرحلة متقدمة من خلال هذا التعريف عن مصطلح حديث في اللسانيات الحديثة وهو المقطع.

تطرّق ابن باديس في تفسيره لسورة الفرقان لعدد من الظواهر الصوتية كالتنوين والفاصلة القرآنية والتشديد، كان لها عظيم الأثر في الدلالة والمعنى.

1.5.التنوين:

التنوين ظاهرة صوتية تخصّ اللغة العربية، وهي تقتضي أن تلحق بالكلمة ضمّتان أو فتحتان أو كسرتان، الحركة الأولى أصلية والثانية زائدة، وقد وُصِفت بالزيادة؛ لأنه ليس في بنية الكلمة التي اتصل بها، بدليل حذفه في بعض المواضع أو الحالات كالوقف أو دخول لام التعريف على الاسم المنون. (ماكني، 2019، صفحة 81).

والتنوين في اللغة: مصدر نوَّن ينوِّن تنوينًا، تقول: نونتُ الاسم تنوينًا إذا ألحقتَ به نونًا. (ابن منظور، 1992، صفحة 429). أمّا عند علماء الأصوات فهو عبارة عن حركة قصيرة بعدها نون. (أنيس، 1966، صفحة 243). فالتنوين مجموع الحركة والنون معًا. وقد تناول ابن باديس ظاهرة التنوين في موضعين في تفسيره لهذه السورة هما:

1. قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: 32]. يفسّر ابن باديس هذه الآية يقول: "والتنوين في(ترتيلا) تنوين تنويع وتعظيم أي نوع من الترتيل عظيما" (بن باديس، 2009، صفحة 53).

يرى ابن باديس أن التنوين في لفظة ترتيلا أضفى معنى إضافيا للآية وهو وصف نوع الترتيل الذي نزل به القرآن الكريم، والذي جاء على خلاف ما افترضه الكافرون من النزول الكلّيّ، وتوجيه الأنظار إلى أن العظمة في

النزول المفرّق المتتابع، من دون اختلال أو اضطراب، فكان ما اعترضوا به على أنه نقص فيه عنها –أي عن الكتب الأخرى– هو كمال له عليها (بن باديس، 2009، صفحة 54)، فكأن نغمة التنوين تحمل دلالة عنصر محذوف (ترتيلا عظيما) وهو ما بيّنه عند تناوله للمعنى يقول: "... وأنزلناه مرتّلا مفرّقا تفريقا مرتّبا منزّلا كل قسم منه في الوقت المناسب لإنزاله". (بن باديس، 2009، صفحة 53). ويقول في موضع آخر: "وما كان هذا ليتأتّى لولا تفريق الآيات في التنزيل، وترتيلها وتنضيدها هذا الترتيل العجيب، وهذا التنضيد الغريب الذي بلغ الغاية من الحُسن والمنفعة حتى إنّه ليصحّ أن يعدّ وحده وجها من وجوه الإعجاز". (بن باديس، 2009، صفحة 58). إذن فقد استقى ابن باديس معنيين من خلال التنوين هما: التنويع والتعظيم؛ أي رتلناه بنوع من أنواع الترتيل، مبيّنا طبيعة هذا النوع وبأنها عظيمة، عظمتها ممثلة في تفريقها وتتابعها، وهذا كلّه من خلال الأثر الذي أحدثته نغمة التنوين.

2. قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: 71]. يفسّر ابن باديس هذه الآية فيصف تنوين (متابا) بقوله: "ونوّن﴿مَتَابًا﴾ تنوين تفخيم وتعظيم". (بن باديس، 2009، صفحة 151). وصف ابن باديس توبة العبد بأنها توبة عظيمة فخمة؛ حتى لا يتسرّب القنوط إلى قلب العبد المذنب المرتكب للذنب العظيم، فمهما كان الذنب عظيما فالتوبة أعظم، "ولا يحول بينهم وبين خالقهم ذنب وإن عظم، ورغّبهم في التوبة بأنها رجوع إليه وكفى، وأن الرجوع إليه فيه من الخير والشرف فوق ما تصوّره الألفاظ". (بن باديس، 2009، صفحة 152). لقد كان للتنوين في لفظة مَتَابًا أثرا بالغا في إبراز هذا المعنى للتوبة.

والتعظيم والتفخيم هي من أغراض التنوين البلاغية التي وظّفها المفسّرون بمعنى واحد، وشاهد ذلك على سبيل المثال تفسير الآلوسي لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: 10]. إذ يقول: "... وتنوين كِتَابًا للتعظيم والتفخيم، أي: كتابا عظيم الشأن، نيّر البرهان". (الآلوسي، 1995، صفحة 15). وقوله هذا مما يؤيد أن التعظيم والتفخيم معناهما واحد، وكذلك قول ابن باديس السالف الذكر.

ختاما نقول إن التنوين ظاهرة صوتية نطقية، وقد وظّفها ابن باديس في إثراء دلالات الآيات، وتوسيع معانيها. ومن المعاني التي استقاها للتنوين معنى التنويع، وكذلك معنيي التعظيم والتفخيم اللّذين أوردهما بمعنى واحد على عادة الكثير من المفسرين.

2.5.الفاصلة القرآنية:

الفاصلة القرآنية من الظواهر الصوتية التي عالجها ابن باديس أيضا، ويعرفها الزركشي بأنها: "كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع... وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة

التي تباين بها القرآن عن سائر الكلام، وتسمى فواصل؛ لأنه يُفصل عندها الكلامان وذلك آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها، ولم يسموها أسجاعا". (الزركشي، 1990، الصفحات 53–54). فالزركشي من خلال تعريفه يرى أن الفاصلة هي آخر كلمة في الآية، ويخالفه أبو عمرو الداني، وقد نقل الزركشي كلامه في البرهان يقول: "أمّا الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده. والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس، وكذلك الفواصل يكنّ رؤوس آي وغيرها، وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية" (الزركشي، 1990، الصفحات 53–54).

ونظر علماء القراءات إلى الفاصلة على أنها محلّ الوقف عليها، والابتداء بما بعدها فاجتهدوا في معرفة معالمها والتمييز بين الفواصل المستقرة التي يوقف فيها "على لفظ الكلمة من دون أن يصحب هذا الوقف أدنى تغيير في بنية الكلمة" (جبر محمد، 2006، صفحة 80). وقد ورد عدد من الشواهد حول الفاصلة القرآنية في تفسير ابن باديس لسورة الفرقان هي:

1. قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان: 62]. يقول ابن باديس: "وقيل: شكورا لمناسبة رؤوس الآي". (بن باديس، 2009، صفحة 76). يفسّر ابن باديس مجيء شكورا على هيئة المصدر (شُكُورًا) بدلا من الفعل المضارع (يشكر) بقوله: لمناسبتها رؤوس الآي؛ أي لمناسبة الفواصل السابقة واللاحقة، وبالعودة إلى فواصل الآيات السابقة قال سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: 58–61]. نجد هذه الفواصل على الراء المنوّنة بالفتح (خبيرا، خبيرا، نفورا، منيرا)، فجاءت شكورا بدلا من يشكر لتناسب هذه الفواصل. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: 37].

ويرى الفراء أفضلية شكل الفواصل القرآنية على حساب معناها، يقول: "وكأنّ القرآن نزل على ما يستحبّ العرب من موافقة المقاطع" (الفراء، صفحة 224). وكأننا بابن باديس من خلال تعليله ينحو نحوَ الفراء في هذه الأفضلية، بينما يرفض عبد الفتاح لاشين هذا بقوله: "فليست فواصل القرآن مجرّد توافق ألفاظ وأوزان؛ بل لها علاقة وثيقة بما قبلها من نص في الآية" (لاشين، 1982، صفحة 38).

على أن ابن باديس عند تطرّقه للمعنى يوظّف الفعل المضارع يشكر بدلا من شكور يقول: "من أراد أن يتذكر، فيعتبر بما فيهما من انتقال وتغير ونظام وتقدير... أو أراد أن يشكر فيقوم بعبادة خالقه المنعم عليه بجلال النعم" (بن باديس، 2009، صفحة 77).

2. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: 64]. يقول ابن باديس: "ووقع (قياما) في موقعه مناسبا للفاصلة". (بن باديس، 2009، صفحة 93).

يعلّل ابن باديس مجيء (قِيَامًا) على هذه الصيغة لتناسب فواصل الآيات. نعود إلى الآية السابقة قال سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾. والآية اللاحقة: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾. فنجد أن فواصل هذه الآيات الثلاثة المتسلسلة (سلاما، قياما، غراما)، تنتهي بميم منوّنة بالفتح، فجاءت (قِيَامًا) مناسبة لهذه الفواصل. وقد جاءت أيضا موافقة لما عطفت عليه (سجدا) جمع ساجد من حيث العدد، والقيام يقول ابن باديس: "جمع قائم وهو من الأوزان التي يشترك فيها المصدر والجمع". (بن باديس، 2009، صفحة 92). غير أن ابن باديس لم يشر عند تبريره لمجيء (قِيَامًا) بهذه الصيغة إلى موافقة العطف، وأحال على موافقة الفاصلة. وتلك أمارة أخرى على تقديمه لشكل الفاصلة على معناها.

3. قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74]. يعلل ابن باديس سبب ورود إِمَامًا بهذه الهيئة يقول: "الإمام: هو المتبع المقتدى به وأفرد لأن المراد به الجنس، وحسن الإفراد من جهة اللفظ لوقوعه فاصلة على وزان ما قبلها وما بعدها ومن جهة المعنى". (بن باديس، 2009، صفحة 168). وهذه العبارة صريحة في الاعتداد بأثر الفاصلة على المعنى، بقدر الاعتداد بسلطة المعنى في تشكيل الفاصلة، إذن ابن باديس يرى أن سبب عدم مجيء أئمة الموافقة للمتقين، ومجيء إِمَامًا بالإفراد؛ لأن المراد هنا الجنس، ولتوافق الفواصل، وبالعودة للآيات السابقة واللاحقة نجد أنها تراوحت بين النون والميم المنونتين بالفتح.

وإذا ما عدنا للتفاسير المعتمدة عند ابن باديس سنجد التفسير نفسه عند أبي حيان الاندلسي فقد ذكر أن إفراد (إِمَامًا) لمناسبتها للفاصلة (ابو حيان الاندلسي، 2010، صفحة 474). بينما علّل كل من الطبري والزمخشري والرازي الإفراد للدلالة على الجنس، دون ذكر للفاصلة القرآنية.

ونذهب لتفسير آخر غير معتمد عند ابن باديس ممثلا في تفسير البغوي للوقوف على تفسير هذه الآية يقول: "﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾؛ أي: أئمة يقتدون في الخير بنا، ولم يقل: أئمة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 16]، وقيل: أراد أئمة كقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ [الشعراء: 77]؛ أي: أعداء، ويقال: أميرنا هؤلاء أي: أمراؤنا. وقيل: لأنه مصدر كالصيام والقيام، يقال: أم إماما، كما يقال: قام قياما، وصام صياما". (البغوي، 1991، صفحة 99).

أخيرا نقول إن هذه الشواهد –على قلّتها– تبيّن ثراء معجم ابن باديس؛ فقد وظّف مصطلح رؤوس الآي تارة ووظف مصطلح الفاصلة وهو المصطلح الشائع تارة أخرى. أيضا فقد نظر ابن باديس إلى هذه المسألة نظرة كأنه ينتصر فيها للجانب الشكلي على حساب المعنى؛ إذ برّر– على سبيل المثال– مجيء لفظة شكورا على هذه الصيغة بالجانب الشكلي، وهو حتى توافق الفواصل السابقة دون النظر إلى المعنى. لكن في موضع آخر نجده يوفق بين الشكل والمعنى، كما هو الحال بالنسبة إلى لفظة إِمَامًا إذ علل ورودها بدلا من أئمة الموافقة للمتقين؛ بأن المراد به الجنس (جانب المعنى)، وأيضا لتوافق الفواصل السابقة واللاحقة (الجانب الشكلي).

3.5.القراءات القرآنية:

يعرّف العلماء القراءات تعريفات متعددة نكتفي بتعريف الإمام ابن الجزري الذي يرى أن القراءات هي: العلم بكيفية وطريقة أداء ألفاظ القرآن الكريم. (ابن الجوزي، صفحة 3). ونبّه في تعريفه إلى الاختلاف الذي أشار إليه الزركشي قائلا: "واختلافها بعزو الناقلة" (ابن الجوزي، صفحة 3)؛ أي عن طريق الإسناد لأن عزو الخبر إلى فلان بمعنى إسناده له.

امتُحِن ابن باديس وأجيز في التجويد والقراءات في الزيتونة أثناء مرحلة التطويع وبعدها على يد أستاذه الشريف بن السعيد المقرئ (فيلالي، الصفحات 57–58). لذلك فإن توظيفه للقراءات جاء عن دراية وعلم، حيث وظف هذه القراءات بوجوهها المتعددة للوصول إلى معاني ودلالات الآيات، وكان تعامله معها متنوعا فقد يصرّح أحيانا بوجه القراءة وقد لا يفعل، وقد ينسب القراءة لصاحبها وقد لا يفعل.

أثر تعدّد أوجه القراءات القرآنية في الدلالة:

إنّ تعدّد وجوه القراءات لاشكّ يسهم في إثراء المعاني والدلالات للآيات؛ فقد يكون المعنى غير واضح على وجه القراءة الأول فيأتي وجه آخر لقراءة أخرى يوضّحه أو قد يوسّع المعنى أو يعدّده، ويرى السيوطي أن بعض القراءات يُبيِّن ما لعلّه يُجهَل في القراءة الأخرى؛ فقراءة ﴿ يَطَّهَّرْنَ ﴾ بالتشديد مُبيِّنة لمعنى قراءة التخفيف، وقراءة "فامضوا إلى ذكر الله"؛ تُبين أن المراد بقراءة: ﴿ فَاسْعَوْا ﴾ [الجمعة: 9] الذَّهاب، لا المشي السريع (السيوطي، 2008، صفحة 227). وبهذا فقد وظّف ابن باديس تعدّد أوجه القراءات القرآنية لتوضيح المعنى. فعلم القراءات يعنى بجانب المعنى حتّى عدّه بعض العلماء الخادم الأمين لعلم التفسير وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها. (المالكي، 1996، الصفحات 100–101). وقد ورد في تفسير ابن باديس لسورة الفرقان شاهد على ذلك هو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74]. يقول

ابن باديس: "الذرية: ما تناسل منهم من أبنائهم وبناتهم، وقرئت بالإفراد لاتحادها في أصل النسل، وبالجمع لاختلافها في الفروع والأنساب" (بن باديس، 2009، صفحة 167).

يستند ابن باديس في شرحه لهذه المفردة لوجهي القراءتين يقول الحصري: "واختلف في﴿ وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ فأبو عمرو والكوفيون إلا حفصا بالإفراد، والباقون بجمع السلامة". (الحصري، 2003، صفحة 267). فينطلق ابن باديس في شرحه من الوجه الأول بالإفراد ذريتنا للاتحاد في أصل النسل، ثم الوجه الثاني بالجمع ذرياتنا؛ للاختلاف في الفروع والأنساب، وهنا يظهر معنى حرص الأصل على الاستمرار ورغبته في الوجود والبقاء، ومما هو قوة في وجوده ومظهر لبقائه، أن يرى الناس على فكره وصفاته وأحواله، فيرى نفسه ممثلة في غيره وأفكاره وصفاته وأحواله، باقية ببقاء الناس. (بن باديس، 2009، صفحة 166). ومع أن الصيغتين تشتركان في أجزاء من المعنى، فهما تفترقان في أخرى، يقول الأزهري مفسرا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور: 21]. "قرأ نافع (وَاتَّبَعَتْهُمْ) بالتاء (ذُرِّيَّتُهُم) واحدة، ألحقنا بهم (ذُرِّيَّاتُهُم) جماعة، وقال خارجة عن نافع (ذُرِّيَّتُهُم) على التوحيد معا... والذرية: تقع على الواحد والجماعة. (الأزهري، 1991، صفحة 33).

وبهذا يكون ابن باديس قد استغل وجهي القراءتين في التوسع في معنى الآية، يقول السيوطي: "تنوّع القراءات بمنزلة الآيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدة، لم يَخفَ ما كان فيه من التطويل ولهذا كان قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: 6] منزّلا لغسل الرِّجل، والمسح على الخف، واللفظ واحد لكن باختلاف إعرابه" (السيوطي، 2008، صفحة 175). وهكذا تتحول كثير من الآيات التي وردت في بعض مفرداتها قراءات مختلفة، وكأنها آيات أخرى. فقراءة (وأرجلَكم) بالفتح لها معنى معيّن، بينما تتوجه قراءة الكسر لنفس اللفظ إلى معنى آخر جديد مخصص أو مفصل أو مكمّل للمعنى الأول.

بالعودة إلى مصادر ابن باديس نجد أن الزمخشري ذكر وجهي القراءتين مع ترجيح قراءة الجمع ذرياتنا (الزمخشري، 2009، الصفحات 373-374)، بينما الطبري فسّر الآية بدون ذكر القراءة، موظّفا صيغة الجمع ذرياتنا. (الطبري، 1994، صفحة 122). وبالذهاب إلى مصدر آخر نجد البغوي ذكر القراءتين لكن لم يرجّح أحداهما يقول في تفسيره لهذه الآية: "قرأ بغير ألف أبو عمرو والكسائي وأبو بكر، وقرأ الباقون بالألف على الجمع". (البغوي، 1991، صفحة 99). ولم يزد على ذلك.

4.5.التشديد:

إنّ العرب إذا أرادوا التعبير عن معاني المبالغة والتكثير والمداولة والتكرير تحرّوا صيغة التشديد؛ لأن فيها زيادة في المعنى وتأكيدا لا تؤديه الصيغة المخفّفة على الأكثر (القيسي، 1984، صفحة 265). قال سيبويه:

تقول: كسرتها وقطعتها، فإذا أردت كثرة العمل قلت: كسَّرته وقطَّعته ومزَّقته... واعلم أن التخفيف في هذا جائز كلّه عربي إلا أن فَعَّلت إدخالها هاهنا لتبيين الكثير. (سيبويه، 1988، صفحة 64).

إن ظاهرة التشديد تستدعي ظاهرة أخرى مقابلة لها وهي ظاهرة التخفيف، وورودهما في اللفظة الواحدة في القرآن الكريم متعلق أساسا بتعدد أوجه القراءات، وقد يتعدّى أمرهما جانب الاختلاف في المعنى إلى الاختلاف في الأحكام الفقهية، ففي قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: 222]. قرئت بالتخفيف والتشديد في حرف الطاء من كلمة (يطهرن)، فعلى قراءة التخفيف فإن الحائض لا يقربها زوجها حتى يحصل أصل الطهر، وذلك بانقطاع الحيض، وعلى قراءة التشديد فلا يقربها زوجها حتى ينقطع الدم وتزيد عليه التطهر بغسل المحل أو الوضوء أو الاغتسال. يقول البغوي: "قرا عاصم برواية أبي بكر وحمزة والكسائي بتشديد الطاء والهاء، يعني: يغتسلن، وقرا الآخرون بسكون الطاء وضم الهاء مخففة، ومعناه : حتى يطهرن من الحيض ولينقطع دمهن" (البغوي، 1991، صفحة 127).

وقف ابن باديس على ظاهرة التشديد مشيرا إلى ما تؤديه من دلالات ومعان، من خلال تفسيره قوله جلّ وعلا: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: 75]. يقول: "يُلَقَّوْنَ من لَقِي بمعنى يجدون، ويُلَقَّوْنَ: من لُقى بمعنى تلقيهم الملائكة؛ أي تقابلهم وتتلقاهم". (بن باديس، 2009، صفحة 176). التشديد يكون في الأفعال والأسماء إلا أنه في الأفعال أكثر حدوثا (داود و المالكي، 2015، صفحة 3)، وقد ورد في هذه الآية في الفعل (يُلَقَّوْنَ) إذ قرئت بالتشديد وبالتخفيف، يقول الحصري: ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ فالكوفيون إلا حفصا بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف، والباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف. (الحصري، 2003، صفحة 267). فينطلق ابن باديس في شرحه من الفعل الماضي لقي؛ أي: وجد، وهو معنى قراءة يلقون بالتخفيف، ثم يذكر صيغة المضارع المبني للمجهول وهو من لُقّي الماضي المبني للمجهول المناسب لقراءة التضعيف يُلَقَّوْنَ، والذي يعني المقابلة والتلقي.

ويبدو أن القراءة بالتشديد تعطي معنى أقوى من حيث الدلالة؛ ذلك أن زيادة المباني تفيد في زيادة المعاني. ومن خلال تناول ابن باديس للمعنى يتبيّن أنّه يرجّح قراءة التشديد يُلَقَّوْنَ حيث يقول: "أولئك الذين ذكرت صفاتهم وأفعالهم يعطون جزاء أعمالهم...وتتلقاهم الملائكة بالتحيّة والسّلام". (بن باديس، 2009، صفحة 177). عكس الطبري الذي رجّح لقي يلقون بالتخفيف حيث يقول: "غير أن أعجب القراءتين إليّ أن أقرأ بها ﴿وَيَلْقَوْنَ فِيهَا﴾ بفتح الياء وتخفيف القاف؛ لأن العرب إذا قالت ذلك بالتشديد قالت: فلان يُتَلَقَّى بالسلام وبالخير ونحن نتلقاهم بالسلام

قرنته بالباء، وقلّما تقول: فلان يُلقَّى السلام, فكان وجه الكلام لو كان بالتشديد أن يقال: ويُتَلَقَّوْنَ فيها بالتحية والسلام. وإنما اخترنا القراءة بذلك". (الطبري، 1994، صفحة 35).

بالعودة إلى البغوي نجده يقول في تفسير هذه الآية: "﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بفتح الياء وتخفيف القاف، كما قال: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: 59]، وقرأ الآخرون بضم الياء وتشديد القاف كما قال: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: 11]". (البغوي، 1991، صفحة 100).

حيث أن البغوي صرّح بوجهي القراءتين اللّتين أغفل ابن باديس ذكرهما دون ترجيح لإحداهما.

6.الصرف وأثره في الدلالة:

إنّ الصّلة وثيقة بين الصرف والمعنى، فلكلّ صيغة صرفية معنى خاص، ولا شكّ أنه سيتغير إذا لحقها تغيير.

ويعرّف ابن جني الصرف بأنه: "تغيير في بنية الكلمة لغرض لفظي أو معنوي". (ابن جني، 1954، صفحة 4)، ويعرَّف أيضا بأنّه: علم يبحث عن الكلم من حيث ما يعرض له من تصريف وإعلال وإبدال وإدغام. وبه نعرف ما يجب أن تكون عليه بنية الكلمة قبل انتظامها في الجملة. (عتيق، 1974، صفحة 7).

1.6.صيغ الأسماء: الاسم هو ما وضع ليدل على معنى مستقل بالفهم ليس الزمن جزءا منه، مثل: رجل وكتاب. (الحملاوي، صفحة 51). وقد وقف ابن باديس على عدد من صيغ الأسماء مشيرا إلى ما تؤديه من دلالات من خلال تفسيره لسورة الفرقان ومنها:

1.1.6.صيغة فِعَال:

يرى صاحب كتاب شذا العرف أن فِعَال مصدر للفعل الثلاثي المزيد بحرف على وزن (فاعَل) نحو: دافع، حاسب، ويكون مصدره أيضا (مفاعلة) فيقال: "دافَع دِفاعا مدافعة، وحاسَب حِسابا محاسبة". يقول: "وقياس مصدر فَاعَل: الفِعال بالكسر والمفاعلة..." (الحملاوي، صفحة 117)، ويكثر استعماله في معنيين يضيف الحملاوي أحدهما التشارك بين اثنين فأكثر؛ وهو أن يفعل أحدهما بصاحبه فعلا فيقابله الآخر بمثله... وثانيهما: الموالاة؛ فيكون بمعنى أفعل المتعدي، كواليت الصوم بمعنى أوليت..." (الحملاوي، الصفحات 78–79). وقد وردت هذه الصيغة (فِعال) في موضعين من خلال تفسير سورة الفرقان هما:

1. قوله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: 52]. يقول ابن باديس مفسّرا هذه الآية: "والجهاد: بذل الجهد من ناحيتك في مقابلة من هو باذل جهده في الناحية المقابلة لك، هذا مقتضى صيغة فِعال". (بن باديس، 2009، صفحة 71).

ورد في هذه الآية فعل أمر وهو جَاهِدْهُم، ومصدر وهو جِهَادًا، غير أنّ ابن باديس لم يُشر بحال إلى فعل الأمر بل وظّف خلال تفسيره لهذه الآية المصدر جِهاد؛ ولعل ذلك راجع لما في المصدر من دلالات لا توجد في فعل الأمر كمعنى المقابلة، وهذا ما يتضح أكثر عند متابعة معنى صيغة المصدر الذي وقع مفعولا مطلقا من مادة فعل الأمر نفسها، فبيّن ما عجز عنه الفعل، يضيف ابن باديس: "جهادا كبيرا مصدر مبيّن للنوع المطلوب بصفته وهي كبيرا". (بن باديس، 2009، صفحة 71). فتجتمع صيغة المصدر بدلالتها على المقابلة، مع معنى الصفة التابعة لتصوير مقدار ما يُطَالَب به المخاطبون من البذل والدفع، والمعنى يقول ابن باديس: "... وابذل كل جهدك في دعوتهم للدين الحق، ومقاومة ما عليه من الباطل بالقرآن العظيم، وجاهدهم بهذا القرآن جهادا كبيرا" (بن باديس، 2009، الصفحات 71–72).

2. قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: 77].

يفسّر ابن باديس هذه الآية يقول: " لِزاما: ملازمًا، وأصل اللزام مصدر لازم، واختير هنا للتنبيه على أن بين المكذّبين والعذاب ملازمة من الطرفين، فهم بتكذيبهم قد ألزموا أنفسهم العذاب فلازمهم العذاب". (بن باديس، 2009، صفحة 182). يشير ابن باديس إلى أن لفظة لِزاما هي مصدر للفعل الثلاثي المزيد لازم على وزن فاعَل، وقد أفادت هنا معنى التشارك؛ أي أن بين المكذّبين والعذاب تشاركا، كلّما يزيد المكذبين في كفرهم وتكذيبهم يزيد الله لهم العذاب فأصبح العذاب ملازما لهم، والمعنى يضيف ابن باديس: "... فإذا كذّبتم وكفرتم فهو لا يعبأ بكم، وسوف يكون العذاب ملازما لكم بسبب تكذيبكم" (بن باديس، 2009، صفحة 182). ثم إن رجوع الفعل (لازم) إلى المصدرين (اللزام والملازمة) كما جاء عن أصحاب المعاجم؛ استدعى توجيه اختيار اللزام دون الملازمة فكان داعي هذا الاختيار – برأي ابن باديس – ما توحي به الصيغة من المشاركة والمبادلة، فهؤلاء قد لزمهم العذاب بسبب ملازمتهم لأسبابه.

ومع ما في صيغة (مفاعلة) من هذا المعنى؛ إلا أن لفظة (اللزام) اكتسبت دلالة مصطلحية طبعتها ثقافة البيئة الإسلامية الجديدة، الناشئة من أقوال أهل السبق في العلم، والتي بلغت بعض أقوالهم درجة المصطلح. وقد أورد كلام ابن مسعود وكلام الحسن رضي الله عنهما.

ويكاد يتطابق تفسير الطاهر بن عاشور مع تفسير ابن باديس يقول ابن عاشور: واللزام: مصدر لازم، وقد صيغ على زنة المفاعلة لإفادة اللزوم، أي عدم المفارقة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: 129]. فالإخبار باللزام من باب الإخبار بالمصدر للمبالغة. وقد اجتمع فيه مبالغتان: مبالغة في صيغته تفيد قوة لزومه، ومبالغة في الإخبار به تفيد تحقيق ثبوت الوصف. وعن ابن مسعود وأبي بن كعب: اللزام: عذاب يوم بدر... ولعلّ ذلك شاع حتى صار اللزام العَلم بالغلبة على يوم بدر. وفي الصحيح عن ابن مسعود: خمس قد مضين: الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام. يعني أن اللزام غير عذاب الآخرة. (بن عاشور، الصفحات 86-87).

وهكذا فقد استغل ابن باديس هذه الصيغة الصرفية في استنباط الفروق بين المعاني، وتوجيهها لِمَا يخدم منهجه العام في التفسير.

2.1.6.صيغة فُعلان:

تأتي صيغة فُعْلان في العربية إما مصدرا ككُفْران، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء: 94]، وأحيانًا تأتي جمعًا كرُهبان، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 31]، وقد تأتي هذه الصيغة اسمًا كثُعْبان، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: 107] وهكذا.

وردت هذه الصيغة في موضع واحد في تفسير سورة الفرقان وهو عند تفسير قوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1]. يقول ابن باديس: "الفُرقان: أصله مصدر فرق بمعنى: فصل، وهو أبلغ في الدلالة على المعنى من فرق المصدر المجرّد، بما فيه من زيادة الألف والنون، كما كان القرآن أبلغ من القراءة لذلك" (بن باديس، 2009، صفحة 8). ينطلق ابن باديس في شرحه لمفردة الفرقان من الأصل اللغوي فرق الذي يعني فصل، ثم يبرز الأثر الذي أحدثه زيادة المبنى فكل زيادة في المبنى تصحبها زيادة في المعنى، وبهذا وصلت دلالة هذه الصيغة لتصبح عند ابن باديس اسم عَلَم يدل على الكتاب الكريم يقول: "وهو هنا اسم من أسماء هذا الكتاب الكريم". (بن باديس، 2009، صفحة 8).

وبالعودة إلى المعاجم العربية نجد الفيروزآبادي يقول: "فرق بينهما فرقا وفُرقانا بالضم: فصل". (الفيروزابادي، 2005، صفحة 917). فقد تطابق المعنى اللغوي للمصدر فرق عند ابن باديس مع الفيروزآبادي وهو يعني الفصل.

استغل ابن باديس كل الطاقات التي تمنحها الصيغة الصرفية فرقان لاستنباط أحكام الآية وفوائدها فقد تحدّث تحت عنوان "تفقه واستنباط" يقول: "لما سمّى الله كتابه الفرقان، علمنا أنه به يفرّق بين الحق والباطل، وأهل هذا وذاك، فهو الحكم العدل والقول الفصل بين كل متنازعين يدّعي كل منهما أنّه على الحق في ما هو عليه من عقد أو قول أو عمل... فعلينا– إذن– أن يكون أول فزعنا في الفرق والفصل إليه... فالله سمّاه الفرقان لنعلم أنه فارق بنفسه، ولنعمل بالفرق به، ولا يكمل إيماننا بأنه الفرقان إلا بالعلم والعمل". (بن باديس، 2009، صفحة 10). ولم يكن بإمكانه استنباط كل هذه المعاني دون الاتكاء على هذه الصيغة.

3.1.6.صيغة فِعلة:

تأتي هذه الصيغة للدلالة على الهيئة يقول الحملاوي: "ويصاغ منه للدلالة على الهيئة مصدر على وزن فِعلة بكسر فسكون كجلس جِلسة، وفي الحديث: (إذا قتلتم فأحسنوا القِتلة)" (الحملاوي، صفحة 119). وقد جاء مصدر الهيئة في موضع واحد في تفسير ابن باديس لسورة الفرقان من خلال مفردة خِلفة في قوله جلّ جلاله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: 62]. يفسّر ابن باديس هذه الآية يقول: "خِلفة، يقولون: خلفت الفاكهة بعضها بعضا خلفا – بالتحريك– وخلفة إذا صارت خلفا من الأولى، وخلف زيد عمرا يخلفه إذا جاء بعده في مكانه، فالخِلفة مصدر، وهو لمّا كان على وزن فِعلة دلّ على الهيئة كالرِكبة، بمعنى الهيئة من الركوب، فالخِلفة إذًا هيئة من الخلوف، فإذا قلت: خلفه خلفا أو خلوفا فقد أردت مطلق الحدث، وإذا قلت: خلفه خِلفة فقد أردت هيأة خاصة من الخلوف". (بن باديس، 2009، صفحة 75). يُطنب ابن باديس ويُسهب في شرح مفردة خِلفة منطلقا من المعنى اللغوي، ثم ينتقل بالمتلقي إلى الحديث عن مصدر الهيئة وما أحدثه من إضافات دلالية إلى المعنى اللغوي، والتي تفيد حلول شيء مكان آخر على الإطلاق، وعلى كيفية مخصوصة تتعلّق بكيفية حلول الليل مكان النهار، وحلول النهار مكان الليل. والمعنى يقول ابن باديس: "وهو الذي جعل الليل والنهار ووضعهما يختلفان ويتعاقبان على هيأة مخصوصة في التعاقب والتخالف". (بن باديس، 2009، صفحة 76).

لقد وظّف ابن باديس هذه الصيغة أحسن توظيف، ووقف على كل ما يمكن أن تمنحه من طاقات وإضافات دلالية يقول: "فكانت هذه اللفظة الواحدة منبّهة على ما في اختلاف الليل والنهار من آية دالّة، ومن نعمة عامّة، وهكذا جميع ألفاظ القرآن في انتقائها لمواضعها". (بن باديس، 2009، صفحة 77).

بالعودة إلى الزمخشري نجده يفسّر هذه الآية يقول: "الخِلفة من خلف، كالركبة من ركب، وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة؛ أي ذوي عقبة..." (الزمخشري، 2009،

صفحة 221). يستغل الزمخشري هو الأخر مصدر الهيئة خلفة للوصول إلى حالة وهيئة مخصوصة يخلف بها الليل النهار، والنهار الليل، دون الإشارة إلى أنه مصدر هيئة.

2.6.صيغ الافعال:

يعرّف الفعل بأنه: "ما وضع ليدلّ على معنى مستقل بالفهم، والزمن جزء منه مثل: كتب ويقرأ واحفظ". (الحملاوي، صفحة 51)، ويعرّف أيضا بأنه: "ما دلّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة". (الاستراباذي، 1982، صفحة 5). والأفعال من حيث بنيتها على نوعين: مجرّدة ومزيدة، والمجردة إما ثلاثية أو رباعية الأصل تزداد بعدد من حروف الزيادة مجموعة في قولك: (هناء وتسليم) لإفادة معنى جديد. ويترتّب على كل زيادة صيغة جديدة تحمل دلالة جديدة؛ لأن اختلاف المباني يؤدي إلى اختلاف المعاني. وقد تنبّه علماء العربية الأوائل إلى هذا القانون الصرفي الدلالي، وأولوه فائق العناية في دراستهم، واستثمر ابن باديس هذا للوقوف على دلالة عدد من الأفعال بصيغها المختلفة ومن أهمها:

1.2.6.صيغة فعّل:

لصيغة فعَّل عدة معاني منها:

-التكثير في الفعل: كجوَّل وطوَّف، أكثر الجولان والطَّواف، أو في المفعول: كغلَّقت الأبواب، أو في الفاعل: كموَّتت الإبل وبرَّكت. (الحملاوي، صفحة 41). يقول الرضي: "وفعَّل للتكثير غالبا نحو غلَّقت، وقطَّعت، وجَوَّلَت، وطَوَّفَت". (الاستراباذي، 1982، صفحة 92).

-التعدية: يقول سيبويه: "وقد يجيء الشيء على فعلت فيشرك أفعلت، وذلك قولك: فرح وفرَّحته، وإن شئت قلت: أفرحته، وغرم وغرَّمته، وأغرمته إن شئت". (سيبويه، 1988، صفحة 55).

-الدلالة على الإزالة: ويتمثل ذلك في التركيبين الآتيين: قَرَّدْتُ البعير، إذا أزلت قراد البعير، وجلَّدت البعير، إذا أزلت جلد البعير. (ياقوت، 1975، صفحة 100).

وقد وردت هذه الصيغة في موضعين في تفسير سورة الفرقان:

1. قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 01]. يفسر ابن باديس هذه الآية يقول: "مادة نزّل كلها ترجع إلى معنى الهبوط والنزول من عل، والحلول في أسفل. ونَزَّلَ المضاعف أبلغ في المعنى من أنزل وقد يفيد كثرة النزول كما هنا؛ لأنه نزله مفرقا على نيف وعشرين سنة، وقد يفيد القوة في نزول واحد كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: 32]؛ لان تنزيل الجملة أقوى من إنزال التفصيل". (بن باديس، 2009، صفحة 8). ينطلق ابن باديس في

شرحه من المعنى المعجمي، وهو هنا الهبوط والنزول من عل، ثم يبرز الإضافات الدلالية التي تقدّمها صيغة نزّل وهو الكثرة، وقد تفيد القوة في نزول واحد، مبينا أن صيغة نزّل بالتضعيف أبلغ من صيغة أنزل المزيدة بالألف، وإن كانت الصيغتان ترجعان في الأصل إلى معنى واحد. واللافت عند ابن باديس، هو عدم اكتفائه بالوقوف على معاني الصيغ؛ بل الارتقاء بالمعنى الصرفي للصيغة إلى دلالتها في سياقها اللغوي، وهو الذي يشير إليه في آخر كلامه السابق "وقد يفيد كثرة التنزول كما هنا" فيعطي للصيغة الصرفية بعدا وظيفيا تتمكن عن طريقه من الإسهام في تشكيل دلالة الآيات العامة.

2. قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: 32]. يقول ابن باديس مفسّرا هذه الآية: "نُزِّلَ يأتي مرادفا لأنزل، والتضعيف أخو الهمزة، ويأتي مفيدا للتكثير، فيفيد تكرّر النزول وتجديده، وخرج على هذا قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [آل عمران: 3]، وأما هنا فلا يصحّ حمله على التكثير المفيد للتدريج؛ لئلا يناقض قولهم جملة واحدة فيكون من التضعيف المرادف للهمزة". (بن باديس، 2009، الصفحات 51–52).

الصرفيون يقرّرون أن صيغة (نُزّل) تفيد معنى تكثير نزول القرآن، وهو معنى تفيده صيغة (أنزل) أيضا، بناء على أخوة التضعيف والهمزة، وهو ما يعني ترادف الصيغتين، لكن ابن باديس يستحضر آية آل عمران التي ترد فيها الصيغتان بمعنيين مختلفين، يقول الزمخشري: "فإن قلت:لم قيل: نزّل الكتاب، وأنزل التوراة والإنجيل؟ قلت: لأن القرآن نزل منجمة، ونزل الكتابان جملة". (الزمخشري، 2009، صفحة 160). ويقول أبو زكريا الأنصاري معلّلا صيغتي آية آل عمران بقوله: "لأن القرآن نزل منجما، والتوراة والإنجيل نزلا جملة واحدة، فحيث عبر فيه ب (نزّل) أريد الأول، أو (أنزل) أراد الثاني". (الأنصاري، 1988، صفحة 77). ويرى ابن الأثير: "أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية، اقتضت ذلك، وهو لا يتوخّاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارها، وفتش عن دفائنها، ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقها فهماً، وأغمضها طريقاً". (ابن الاثير، 1959، صفحة 193).

وفي ضوء هذا يقدم ابن باديس اختياره يقول: "وعندي أن نزّل المضاعف يرد لكثرة الفعل ولقوته، فجاء لكثرته في أية آل عمران المتقدمة، وجاء لقوته في هذه الآية؛ لأن إنزال الجملة مرة واحدة أقوى من إنزال كل جزء من الأجزاء بمفرده". (بن باديس، 2009، صفحة 52). وبقوله: "وعندي" تبرز نزعته للاجتهاد ومقدرته على توجيه معاني ودلالات الآيات واختيار المعنى المناسب حسب السياق الوارد فيه.

2.2.6.صيغة افتعل:

صيغة افتعل لها عدة معان، فهي تعني الاتخاذ (بن يعيش، صفحة 160) نحو: (امتطيت الحصان)، وتعني المطاوعة (بن يعيش، صفحة 160) نحو: (جمعته فاجتمع)، كما تعني الطلب والاجتهاد (بن يعيش، صفحة 160) نحو: (اجتهد)، والتشارك كاختصم زيد وعمر؛ اختلفا (الحملاوي، صفحة 81)، والإظهار نحو: (ابتسم)، والمبالغة نحو: (اقتلع، اكتسب). (الشاطبي، 2007، صفحة 439).

ونابت الصيغة (افتعل) مناب الصيغة المجرّدة في مثل قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16]. (سليمان، 1997، صفحة 243)، وفي قوله: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران: 74]. ويشير ابن عصفور الأشبيلي إلى أن (افتعل) تشترك مع (تفاعل) في أداء معنى التشارك نحو: اقتتل، بينما ذهب إلى أن استعمال (افتعل) بمعنى انفعل قليل (الاشبيلي، 1979، صفحة 192) نحو: انقاد.

وقد وردت هذه الصيغة في موضع واحد في تفسير سورة الفرقان. يقول ابن باديس في شرحه لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: 5]. "اكتتبها أمر بكتابتها له، وافتعل يأتي للطلب كاحتجم واقتصد". (بن باديس، 2009، صفحة 15). يستند ابن باديس في شرحه على ما تُقدمه صيغة افتعل من إضافات دلالية وهي كثيرة، وقد تخيّر معنى الطلب وهنا تبين قدرته على الانتقاء والتعامل مع المعاني الجديدة التي يولّدها السياق.فهو انتقى هذا المعنى من بين عدة معان والتي تشتهر بها هذه الصيغة، وقد أشرت إليها آنفا، وإنما تخيّر المعنى الذي يقتضيه سياق الآية وأسقط كل المعاني الأخرى. يقول ابن عاشور: والاكتتاب: افتعال من الكتابة، وصيغة الافتعال تدل على التكلّف لحصول الفعل، أي حصوله من فاعل الفعل، فيفيد قوله (اكتتبها)، أنه تكلّف أن يكتبها. ومعنى هذا التكلف أن النبي عليه الصلاة والسلام لما كان أميا كان إسناد الكتابة إليه إسنادا مجازيا فيؤول المعنى: أنه سأل من يكتبها له، أي بنقلها، فكان إسناد الاكتتاب إليه إسنادا مجازيا لأنه سببه، والقرينة ما هو مقرر لدى الجميع من أنه أمي لا يكتب (بن عاشور، صفحة 325).

3.6.التناوب الدلالي بين الصيغ:

أدرك علماء العربية القدماء والمحدثون العلاقة بين مختلف الأوزان والصيغ الصرفية، وأدركوا أن الصيغة الواحدة يمكن أن يُعبّر بها عن معان مختلفة، كما تنبّهوا إلى تناوب الصيغ في أدائها للوظائف الدلالية وطرحوا أمثلة كثيرة لذلك.

وتناوب الصيغ معناه أن تؤدي صيغة معيّنة معنى صيغة أخرى؛ كأن يأتي اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل أو العكس، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: 43]. فأكثر المفسّرين على أن قول "عاصم" اسم فاعل بمعنى اسم مفعول، والمعنى في الآية الكريمة: لا معصوم اليوم من أمر الله.

ومن صور التناوب الدلالي بين الصيغ هو التناوب بين المصدر واسم الفاعل، إذ قد يأتي المصدر مؤديا دلالة اسم الفاعل، تقول العرب: رجل عدل؛ أي عادل، ورضي؛ أي مرضي، وبنو فلان لنا سِلم؛ أي مسالمون، وحرب؛ أي محاربون". (الثعالبي، 2000، صفحة 8).

تناول ابن باديس التناوب الدلالي في تفسير سورة الفرقان في موضع واحد، عند تفسير قوله عز وجلّ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 01]. يقول: "نذير، مادة (نذر) كلّها ترجع إلى الإعلام والتحتيم. فمنها نذر على نفسه الصوم، أوجبه وحتمه، وأعلم به، ونذر بالعدو كفرح علم به، وأنذره أعلمه، ولا يستعمل إلا في إبلاغ ما فيه تخويف، فهو إعلام بتأكيد وتحتيم، ونذير هنا بمعنى منذر، من فعيل بمعنى مفعل". (بن باديس، 2009، صفحة 8).

ينطلق ابن باديس في شرحه من الجذر نذر، الذي يرجع إلى الإعلام والتحتيم، ثم ينتقل إلى الأثر الذي أحدثته الزيادة لهذا الجذر، ثم ينتهي إلى أن الصيغة الصرفية نذير على وزن فعيل جاءت بمعنى صيغة أخرى هي منذر على وزن مفعل. وهذا ما يبدو لنا جليا عند تناوله لمعنى هذه الآية، حيث وظف الصيغة الصرفية منذر على وزن مفعل، بدلا من نذير الواردة في الآية يقول: "... ليكون بذلك الكتاب لجميع الإنس والجن منذرا لهم، يعلمهم بعذابه ويخوفهم بشديد عقابه، إنْ لم يعبدوه وحده... " (بن باديس، 2009، صفحة 8).

وبالعودة إلى الزمخشري نجده يتّفق مع ابن باديس، يقول مفسّرا هذه الآية: "﴿نَذِيرًا﴾ منذرا أي مخوفا، أو إنذارا كالنكير بمعنى الإنكار". (الزمخشري، 2009، صفحة 739).

وإذا تأملنا الآية الكريمة نجد أن صيغة فعيل بالإضافة إلى تأديتها المعنى وحلولها مكان صيغة اسم الفاعل (مُفعِل)، إلا أنها أفادت المبالغة في الصفة التي كانت ستحدث باستخدام اسم الفاعل، فالنذير أبلغ في تأدية المعنى من المنذِر وأثبت للصفة وأكثر استمرارا لها.

ومما سبق يتبين صحة حلول صيغة فعيل بمعنى مفعل إذ أفادت أيضا زيادة المعنى والمبالغة فيه.

4.6.الاشتراك الصرفي:

هو اشتراك صيغة صرفية واحدة في أكثر من معنى ودلالة، وتعتبر هذه الظاهرة من الظواهر المهمّة في الكشف عن طبيعة الدلالة في الصيغ الصرفية، حيث تشترك المعاني في الصيغة الواحدة، فتدل على معان متعدّدة قبل أن يتحدّد المعنى المراد بواسطة القرائن. (هنداوي، 2008، صفحة 57).

وقد كان للعلماء العرب إشارات حول الاشتراك الصرفي بصور متعددة، ومن ذلك ما جاء عند سيبويه عند حديثه عن اشتراك الصيغ فيما جاوز الثلاثة قوله: "فالمكان والمصدر يبنى من جميع هذا بناء المفعول". (سيبويه، 1988، صفحة 95). أما عند ابن جني فقد بدأت ملامح الاشتراك الصرفي تأخذ حيز التبويب ولكن بمصطلحات وعناوين مختلفة، ومن ذلك: باب في التقديرين المختلفين لمعنيين مختلفين (بن جني، 1993، صفحة 341)، ووضع بابا آخرا في اتفاق المصاير على اختلاف المصادر. (ابن جني، 1954، صفحة 105). وقد أشار الرضي إلى صورة أخرى من صور الاشتراك في قوله: "اعلم أنه يجئ بعض ما هو على فعال وفاعل بمعنى ذي كذا، من غير أن يكون اسم فاعل أو مبالغة فيه، كما كان اسم الفاعل نحو: (غافر)، وبناء المبالغة فيه نحو غفّار، بمعنى ذي كذا، إلا أن (فعّالا) لما كان في الأصل لمبالغة الفاعل فقال الذي بمعنى ذي كذا لا يجئ إلا في صاحب شيء يزاول ذلك الشيء ويعالجه ويلازمه بوجه من الوجوه". (الاستراباذي، 1982، صفحة 84).

أمّا عند المحدثين فهناك من سمّاه الاشتراك البنيوي، ويكون هذا الاشتراك في بناء واحد يأتي للدلالة على أكثر من معنى صرفي، والسياق هو الذي يحدّد المعنى الصرفي المراد. ومن صور هذا النوع: اشتراك بعض أبنية المجرّد والمزيد في الأفعال، وبعض أبنية المفرد والمثنى والجمع في الأسماء، واشتراك أبنية المصادر والمشتقات. (عقيلان، 2012، صفحة 30).

وقد ورد الاشتراك الصرفي في موضع واحد في تفسير سورة الفرقان من خلال تفسير قوله عزّ وجلّ: ﴿ الَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: 64]. يفسّر ابن باديس هذه الآية يقول: "القيام جمع قائم وهو من الأوزان التي يشترك فيها المصدر والجمع". (بن باديس، 2009، صفحة 92). يشير ابن باديس إلى أنّ هناك اشتراكا صرفيا في لفظة قياما؛ حيث يشترك في هذه الصيغة الصرفية المصدر والجمع، وقد يلتبس هذا على متلقي القران الكريم إلا أن تكون قرينة تدفع هذا الالتباس. والالتباس مظهر كثير الوجود في جميع مستويات النظام الغوي "ذلك أننا إذا أخذنا أبنية الكلم من زاوية صوتية خالصة تُرى فيها مجرد تأليفات متنوعة بين مقاطع محدودة جدا في عدد أصنافها؛ فإننا سنحصل على مظاهر تشابه كثيرة بين تلك الأبنية" (الزيتوني، 2013، صفحة 168).

يستند ابن باديس على المخزون المعجمي كقرينة لدفع هذا الالتباس لدى المتلقي، إذ يشير ابن فارس إلى أصلية المعنيين في ذات الجذر بقوله: "قَوَمَ: القاف والواو والميم أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما على جماعة ناس، وربما استعير في غيرهم. والآخر على انتصاب أو عزم" (ابن فارس، 2008، صفحة 43) ثم ينصرف ابن باديس بمعنى القيام إلى ما اكتسبه اللفظ من معنى إسلامي يقول: "ومن صفات عباد الرحمان أنهم يحيون الليل، فيبيتون يصلّون لربهم يراوحون بين السجود والقيام". (بن باديس، 2009، صفحة 93). فالقيام هو أيضا تسمية خاصة لصلاة الليل، من باب تسمية الكل باسم الجزء، وهو المعنى الذي أخذ خصوصية أضيق عند الفقهاء إذ أضيف إلى شهر رمضان ف "قيام رمضان، اتفقوا على أن المراد به صلاة التراويح" (أبو جيب، 1988، صفحة 311). وهكذا يضع ابن باديس حدا للالتباس الواقع بين الصيغتين لدى المتلقي.

ويرى الزمخشري أيضا أن قائما تعني صلاة الليل يقول في تفسير هذه الآية: "... والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو بأكثره... " (الزمخشري، 2009، صفحة 223).

7.خاتمة:

لقد احتفى ابن باديس من خلال تفسيره لسورة الفرقان بالمستويين الصوتي والصرفي، من خلال عدد من الظواهر الصوتية كالتنوين والفاصلة القرآنية والقراءات القرآنية والتشديد، ومن خلال توظيفه لعدد من البنى والصيغ الصرفية مستثمرا إياها في الوصول إلى المعنى، ويمكن إجمال النتائج في عدد من النقاط هي:

– سورة الفرقان أخذت مساحة كبيرة من تفسير ابن باديس المكتوب، تضمنت ثروة لغوية كبيرة، فكانت جديرة بالبحث والدراسة.

– تناول ابن باديس المسائل الصوتية في هذه السورة كما تناولها الدرس الصوتي القديم، في اعتماده على القراءات القرآنية.

– ثراء القاموس الباديسي، إذ وظف عدّة مصطلحات عند تناوله للظواهر الصوتية كتنوين التفخيم والتعظيم والتنويع، ورؤوس الآي، والفاصلة القرآنية.

– وظّف ابن باديس علمه بالقراءات القرآنية في توجيه دلالات الآيات.

– استغل ابن باديس الإضافات الدلالية للصيغ الصرفية وما يمكن أن تمنحه من معاني للآيات. إذ لكل صيغة معنى خاص بها يفصلها عن الصيغة الأخرى، واختلاف المباني يؤدي إلى اختلاف المعاني.

8.قائمة المراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. الآلوسي محمود شكري. (1995). روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني. دار الكتب العلمية: بيروت.
2. الإبراهيمي أحمد طالب. (1997). آثار الامام محمد البشير الابراهيمي (المجلد 1). دار الغرب الاسلامي: بيروت.
3. ابن الأثير ضياء الدين. (1959). *المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*. مكتبة نهضة مصر: القاهرة.
4. ابن باديس عبد الحميد. (2009). مجالس التذكير من كلام الكيم الخبير (المجلد 1). دار الرشيد: الجزائر.
5. ابن جني ابو الفتح عثمان. (1954). المنصف شرح كتاب التصريف. دار احياء التراث القديم: القاهرة.
6. ابن جني ابو الفتح عثمان. (1993). سر صناعة الاعراب (المجلد 2). دار القلم: دمشق.
7. ابن الجوزي ابو الفرج عبد الرحمان. (بلا تاريخ). منجد المقرئين. دار الكتب العلمية: بيروت.
8. ابن عاشور محمد الطاهر. (بلا تاريخ). *تفسير التحرير والتنوير*. الدار التونسية للنشر: تونس.
9. ابن منظور محمد بن مكرم. (1992). لسان العرب (المجلد 1). دار صادر: بيروت.
10. ابن يعيش موفق الدين. (بلا تاريخ). *شرح المفصل*. إدارة الطباعة المنيرية: القاهرة.
11. أبو جيب سعدي. (1988). *القاموس الفقهي لغة واصطلاحا*. دار الفكر: دمشق.
12. أبو حيان الأندلسي محمد. (2010). البحر المحيط (المجلد 6). دار الكتب العلمية: بيروت.
13. الأزهري محمد أبو منصور. (1991). *معاني القراءات*. مركز البحوث في كلية الآداب–جامعة الملك سعود: الرياض.
14. الاستراباذي رضي الدين. (1982). شرح شافية ابن الحاجب. دار الكتب العلمية: بيروت.
15. الإشبيلي ابن عصفور. (1979). الممتع في التصريف (المجلد 2). دار الافاق الجديدة: بيروت.
16. الأنصاري زكريا. (1988). *فتح الرحمان بكشف ما يلتبس من القرآن*. مكتبة رحاب: الجزائر.
17. أنيس ابراهيم. (1966). من أسرار اللغة (المجلد 3). مكتبة الانجلو المصرية: القاهرة.
18. البغوي الحسين بن مسعود. (1991). معالم التنزيل. دار طيبة: الرياض.
19. بوكرايدي أسماء. (جانفي 2018). الدراسة التطبيقية للمستوى الصوتي في سورة الزلزلة. مجلة الصوتيات، 1(20)، الصفحات؛ 33–54.
20. الثعالبي عبد الملك. (2000). فقه اللغة واسرار العربية (المجلد 2). المكتبة العصرية: صيدا.
21. جبر محمد نور علاء. (2006). *المدارس الصوتية عند العرب*. دار الكتب العلمية: بيروت.
22. الحسني محمد الهادي. (2005). أشعة الشروق (المجلد 1). دار الامة للطباعة والنشر: الجزائر.

23. الحصري محمود خليل. (2003). القراءات العشر من الشاطبية والدرة (المجلد 1). مكتبة السنة: القاهرة.
24. الحملاوي أحمد. (بلا تاريخ). شذا العرف في فن الصرف. مكتبة الرشيد: الرياض.
25. داود صلاح والمالكي رياض. (2015). التشديد والتخفيف في القراءات القرآنية للتابعيين البصريين. *مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية جامعة بابل*، 1(21)، الصفحات؛ 217–226.
26. دروزة محمد عزة. (2000). التفسير الحديث (المجلد 2). دار الغرب الاسلامي: بيروت.
27. الزركشي بدر الدين محمد. (1990). البرهان في علوم القرآن (المجلد 1). دار المعرفة: بيروت.
28. الزمخشري محمود بن عمر. (2009). الكشاف (المجلد 1). دار المعرفة: بيروت.
29. الزيتوني كمال. (2013). *ظاهرة الالتباس في اللسان العربي*. عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع: عمّان.
30. سليمان فتح الله. (1997). الفعل في سورة البقرة دراسة لغوية (المجلد 1). مكتبة الاداب: القاهرة.
31. سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان. (1988). الكتاب (المجلد 3). مكتبة الخانجي: القاهرة.
32. السيوطي جلال الدين. (2008). *الإتقان في علوم القرآن*. مؤسسة الرسالة: بيروت.
33. الشاطبي ابراهيم بن موسى. (2007). المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (المجلد 1). جامعة ام القرى: مكة.
34. شاهين عبد الصبور. (1980). المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي. مؤسسة الرسالة: بيروت.
35. طالبي عمار. (1997). ابن باديس حياته وآثاره (المجلد 3). الشركة الجزائرية: الجزائر.
36. الطبري محمد بن جرير. (1994). جامع البيان في تفسير القران (المجلد 1). مؤسسة الرسالة: بيروت.
37. عتيق عبد العزيز. (1974). المدخل الى علم النحو والصرف (المجلد 2). دار النهضة العربية: بيروت.
38. عقيلان عبد الكريم. (2012). الابنية الصرفية المشتركة بين المصادر والمشتقات (المجلد 1). دار جليس الزمان: عمّان.
39. علي مرحوم. (1975). لمحات من حياة الشيخ ابن باديس. *مجلة الأصالة*، العدد24، الصفحات؛ 96–97.
40. عويمر مولود. (2012). *عبد الحميد بن باديس مسار وأفكار* (المجلد 1). جسور للنشر والتوزيع: الجزائر.
41. الفراء يحيى أبو زكرياء. (بلا تاريخ). معاني القرآن. الدار المصرية للتأليف والترجمة: القاهرة.
42. الفراهيدي الخليل بن احمد. (2003). كتاب العين (المجلد 1). دار الكتب العلمية: بيروت.
43. الفيروزابادي مجد الدين محمد. (2005). القاموس المحيط (المجلد 8). مؤسسة الرسالة: بيروت.
44. فيلالي عبد العزيز. (بلا تاريخ). عبد الحميد بن باديس. دار الهدى: الجزائر.

45. القيسي أبو محمد مكي. (1984). الكشف عن وجوه القراءات السبع (المجلد 3). مؤسسة الرسالة: بيروت.
46. لاشين عبد الفتاح. (1982). *الفاصلة القرآنية*. دار المريخ للنشر: الرياض.
47. ماكني محمد. (سبتمبر, 2019). دلالة وأثر التنوين في الصيغ الذاتية. مجلة مهد اللغات، 1 (1)، الصفحات؛ 80-84.
48. المالكي محمد. (1996). دراسة الطبري للمعنى من خلال تفسيره. وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية: الرباط.
49. هنداوي عبد الحميد. (2008). الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم. المكتبة العصرية: صيدا.
50. ياقوت محمود سليمان. (1975). *ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية* (المجلد 1). دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية.